ثوار أم بلطجية؟

اشترك لتصلك أهم الأخبار

يختلف المشهد فى موجة الاحتجاجات الراهنة عن صورة ثورة 25 يناير المحفورة فى أذهاننا، فالثورة فى موجتها الأولى الأصلية لا تشبه موجاتها التالية كما لا يماثل الزلزال توابعه.

ولذلك لا يخطئ من يقولون إن المعتصمين والمتظاهرين الآن ليسوا هم الذين كانوا فى ميدان التحرير خلال أيام الثورة الثمانية عشر. ولكن الأكثر دقة هو أن معظمهم، وليس كلهم، قادمون جدد إلى المشهد الثورى.. غير أن الخطأ هو فى الاعتقاد أن أكثرهم، أو حتى الكثير منهم، بلطجية.

صحيح أن فى أوساطهم من يمكن اعتبارهم بلطجية، ولكنهم مندسون بين الثوار ولا يمثلون السواد الأعظم فى أوساطهم، كما أنهم لا يظهرون، أو بالأحرى لا يستطيعون التأثير فى مسار الأحداث، إلا عندما يحدث عنف ويتحول الاعتصام السلمى إلى مواجهة تبدأ فى الأغلب الأعم بمحاولة لفض هذا الاعتصام.

ولذلك فإذا أردنا معالجة الأزمة الراهنة، التى بدأت فجر يوم الجمعة الماضى، لابد أن نحاول فهم طبيعة الموجة الحالية وموقعها فى سياق الثورة التى تحل ذكراها الأولى بعد شهر.

فلا ينتمى هؤلاء الذين يرفعون مطالب تبدو لكثير من المصريين مرتفعة السقف ولبعضهم غير منطقية إلى تيار سياسى محدد أو فئة اجتماعية واحدة. إنهم شباب من شرائح اجتماعية مختلفة بعضهم من الطبقة الوسطى وأكثرهم من الفقراء والعاطلين الذين حلموا بأن تكون الثورة بداية لتحسين أوضاعهم، ولذلك يجوز القول إن الكثير منهم يمثلون البعد الاجتماعى الذى كان حاضراً فى ثورة 25 يناير، ولكنه لم يكن غالباً إذ تقدمه مطلبان هما الحرية التى كانت مقموعة والكرامة الإنسانية التى أُهدرت.

وربما يكون الضعفاء اجتماعيا الأقوياء معنويا هم الجزء الأكبر فى الموجة الراهنة، إلى جانب من أحبطتهم إدارة المرحلة الانتقالية، فلم يتحقق شىء من أحلامهم التى لا يزالون يعضون عليها بالنواجذ. فهم يحملون أحلاماً كبيرة يصعب تحقيقها كلها فى وقت قصير، ولا يسهل فى الوقت نفسه إغفالها أو الاستخفاف بطرحهم لها.

وثمة رافد آخر فى الموجة الراهنة لا يقل أهمية، يشمل من يريدون الثأر لزملائهم وأحبائهم الذين استشهدوا وأصيبوا منذ بداية الثورة، بعد أن اختلطت لديهم القضية العامة بالهم الخاص ضمن ما حدث من خلط لكثير من الأوراق خلال الأشهر الماضية.

وأدى سوء إدارة ملف الشهداء والمصابين وتباطؤ محاكمة المسؤولين عن قتلهم وإصابتهم وازدياد الشعور بعدم جدوى هذه المحاكمة إلى تأجيج المشاعر، فمن لا ينصفه القانون قد يسعى إلى الحصول على حقه بطرق أخرى، ويعبر شعار (يا نجيب حقهم.. يا نموت زيهم) عن هذا التوجه الذى ينطوى على مكون معنوى بالغ التأثير يتطلب حساسية خاصة فى معالجته، غير أنه فى غياب هذه الحساسية، اتُخذ قرار فض اعتصام

صغير كان معظم المشاركين فيه من مصابى الثورة وأهالى شهدائها فى 19 نوفمبر، مما أدى إلى انفجار أزمة لا تزال تداعياتها مستمرة.

وثمة رافد ثالث قد يكون امتداداً لسابقه بشكل ما، وهو بعض شباب «الألتراس» الذين أصبح لديهم ثأر مع الشرطة، وهم يمتلكون قدرة على المواجهة ويميل الكثير منهم إلى الانفلات، ولكنهم عندما كانوا جزءاً من ثورة 25 يناير منذ يومها الأول، شاركوا ضمن ضوابطها وفى إطار قواعدها التى أخذت فى التغير فى الموجات التالية.

ويبقى رافد آخر نوعى يمثل ظاهرة مهمة ينبغى الانتباه إليها لأنها ستبقى معنا لفترة طويلة، وهى ظاهرة تحول عدم الثقة فى السلطة إلى رفض مبدئى لها، فجزء من ثوار الموجة الراهنة بات يرفض السلطة فى ذاتها باعتبارها مصدراً للشر سواء بوعى أو بغيره.

وهؤلاء هم الذين نشأوا فى ظل سلطة حسنى مبارك وعانوا ويلاتها فى عقدها الأخير الأسوأ على الإطلاق، واعتقدوا أن الخلاص منها سيحمل الخير، ولكنهم لم يجدوا هذا الخير فى أداء الإدارة الانتقالية على مدى أشهر، فباتوا يعتقدون أن المشكلة هى فى السلطة نفسها.

وبالرغم من أن هؤلاء هم الأكثر مثالية بين ثوار الموجة الراهنة، فهم الأقل استعداداً للحوار والتفاهم والأكثر تشدداً، ولذلك سيظلون سيفاً على رقبة السلطة- أى سلطة- فى المستقبل، وقد يكون فى حضورهم فى المشهد على هذا النحو رادعٍ لأى محاولة للاستئثار بالسلطة مستقبلاً، ولكن تشددهم الراهن، ومعهم زملاؤهم فى الموجة الراهنة للثورة، يجعل الطريق إلى هذا المستقبل صعباً ما لم تتوفر الحكمة وسعة الصدر فى

التعامل معهم والنظر إلى نصف الكوب المملوء، وإدراك أن هذه الموجة الثورية ليست الأخيرة.

ولذلك ينبغى أن نتفق على رفض استخدام العنف والتحلى بالصبر والسعى إلى بناء الثقة تدريجياً بدءاً بالكف عن الخلط بين الثوار والبلطجية واستخدامه ذريعة للعصف بمن ينبغى أن نحتضنهم ونحتوى غضبهم ونقيم علاقة بنأَءة معهم.